الحداثة العربية
المصطلح - المفهوم

دكتور/حلمى محمد القاعود

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

استفتاح

نحمدُ اللّٰه ونصلّى ونسلّم على خير أنبيائه محمدِ بن عبد اللّٰه ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين .

وبعد

فهذه الصفحات تدور حول ظاهرة (الحداثة) فى حياتنا الفكرية والأدبية ، أردت بها أن أخاطب القارىء العادى لأحـّذره من مغالطة شاعت فى أوساطنا الثقافية ، فحواها أن الحداثة التى يتم الترويج لها ؛ مرحلة من التطوّر والتجديد ضرورية لفكرنا وأدبنا جميعاً ..وأنها أمر طبيعى يتسق مع تطور الحياة والمجتمعات ، ويركّز دعاة المغالطة – مرحليًّا – على الجانب الأدبى بوصفه الناحية التى لا تثير عواطف الجمهور ، أو تستفزّ مشاعره على العكس لو كان الأمر متعّلقاً بالناحية العقدّية أو الدينيّة .

وقد أردت أن أبـّين للقارىء العادىّ أن (الحداثة) ، كما طُرحتْ فى العالم العربى ، ليست إلا مصطلحاً مرواغاً يضمّ تحت ردائة نخبة من أصحاب الفكر ومحترفى الأدب ، الذين يتفقون فيما بينهم على قطع صلة العربى المعاصر بماضيه تماماً ..سواء كان هذا الماضى العقيدة الإسلامية أو التاريخ ، أو التراث اللّهم إلاّ ما اتفق من هذا التراث أو ذلك التاريخ مع مناهجهم ؛ سواء فى الحركات الشعوبيّة أو الباطنيّة أو الإلحادية (الزنادقة) أو غير ذلك مما يتناقص بالضرورة مع الإسلام وتصوّره الصحيح .

لقد أوهمونا – أى أصحاب المغالطة أو الحداثة – أن الإسلام ضد التطوّر والتجديد والإبداع والابتكار ..وتفننّوا فى إبلاغ هذا الوهم للناس ، وبخاصة للناشئة والسّذج والذين لم يتعرّفوا على الإسلام من (المسلمين !) ..ولكنهم تناسوْا أن سرّ عظمة الإسلام ، بل إعجازه أنه الدّين الكامل ، الصالح لكل زمان ومكان ، سواء فيما يتعلق بثوابه الراسخة المتفق

عليها ، أو بمتغيراته التى قننّها وأقام على مواجهتها فريق فى الذروة من أهل العلم والفقه عرفهم الناس باسم (الأصوليّن) ، بذلوا جهودهم وأعمارهم كى يضعوا مناهج وأسسًاللتعامل مع ما يُسْتجد من أمور الحياة ..ولأمرٍ ما ، كانت الحضارة الإسلامية أقدر الحضارات جميعاً على استيعاب ما لدى الآخرين ، وهضمه ، وتحويله إلى تراث إسلامى صرف ، يحمل هوية الإسلام وشخصيته وملامحه ، وما أحسب التجديد أو التطوير فى واقعنا الفكرى أو الأدبى بالأمر الغريب ، فالحصيلة الثقافية لأربعة عشر قرناً من الزمان تؤكد عل الثراء الباذخ لحركة الفكر والأدب فى أمتنا ..

وما كان هذا إلا نتيجة للتجديد أو التطوير الموصول بالعقيدة والشريعة ..وكل تجديد غير موصول بهويّة الأمة محكوم عليه سلفاً بالإخفاق الذريع !

إن مشكلة أهل الحداثة تكمن فى عدم قدرتهم على خلع الإنسان العربى المسلم من دينه ، كما تقضى بذلك مناهجهم ، ومن ثمّ ؛ فإن ازدهار الإسلام وانتشاره فى أوساط الشباب فيما عرف باسم (الصحوة الإسلامية) يمثّل قلقًا دائماً للحداثيّن ، وهاجساً بالفزع أمام الوعى الإسلامى الناضج ، الفاقه لأصول الدّين ، المستوعب لحركة التاريخ .

لقد انتهت الحداثة فى بلادها التى نشأت فيها ..ولكن البعض فى العالم العربى يصرّ على بعثها ، وإقامة التماثيل لها فى كل مكان ، وبخاصة بعد أن استطاع أهل الحداثة السيطرة على كثيرٍ من نوافذ النشر والإعلام والدعاية .

ثم إن النظام الماركسى فى الاتحاد السوفياتى ، الذى كان حليفاً طبيعيّاً للحداثة وأنصارها ، قد تهاوى بفضل الله ، بيد أن البعض فى بلادنا العربية يصرّ – مكايدةً للإسلام – على أن يثبت العكس ، أو يسبح ضد تيار الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

لقد راح البعض يزعم أن الحداثة حداثات ، وأن الحداثة ليست مصطلحاً يمكن تعريفه ، وأنها تجديد أدبى واع ..إلخ .

وفى الصفحات التالية أثبتُّ العكس علميّاً ، ومن خلال مقولات الذين اخترعوا الحداثة وصدّروها إلينا ، ثم بينتُ ملامحَ المحاولة الجديدة التى أرادتْ أو تريد أن تؤكد على ازدهار الحداثة وحتميتها فى بلادنا العربية ، وتتبعت جذور الحداثة لدى من روّج لها فى فكرنا الحديث وكشفت بالأمثلة معالم الحداثة بوصفها مرحلةً زائفةً فى تاريخ أمتنا المعاصر ، مصيرها الانهيار ، كما انهارت الماركسية تماماً .

كان بودّى أن أستغرق فى تفاصيل عديدة ، ولكن عذرى أننى أخاطب القارىء فى رسالة موجزة ، توضّح له طبيعة المغالطة التى تُسمّى الحداثة ..أملاً ، بإذنه تعالى ، أن تتاح لى فرصة أخرى أفصّل فيها القول ، وأوضّح كثيراً من الحقائق التى تتعلق بالحداثة وأهلها ، وبخاصة فى المجال الأدبى الذى صار – تقريباً – حكراً على أهلها ، وضيعةً مُستباحةً لهم !

أسأل الله سبحانه السداد والتوفيق ، وأرجوه العون والرشاد ، وصلّى الله وسلم على خير الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

حلمى محمد القاعود

الحداثة ..والمصطلح

ما زال داروِيش (الحداثة) فى عالمنا العربى مصرّين على استثمارها والترويج لها بعد تجاوزها فى بلاد المنشأ والمنع ، وما زالوا مصرّين فى الوقت ذاته على إشغال الساحة الأدبية بعراكٍ أدبى لا هدف له ولا غاية إلاّ ليّ الأعناق نحو مسألة ليست بذات جدوى ولا قيمة ..وما كنت أحسب أن دراويش (الحداثة) متبتّلون فى محرابها إلى هذا الحدّ الذى يجعلهم يدلّسون فى الحوار ، ويعتمدون نوعاً غريباً من الجدل لا ينهض على أسس ولا يقوم على برهان .

ولم أكن أدرى أن لهؤلاء (الدراويش) مريدين بهذا الإخلاص وذلك التفانى ، فيدقون الأكفّ فى القاعات ، ويقرعون الطبول على أنهار الصحف ، لدرجة أن ينقلوا كلام شيوخهم بكل عيوبه ومآخذه (العلمية) ، دون تروٍّ أو فحص أو حرص على سمعةأساتذهم !

لقد تمخضت المسألة لديهم ، عن أن الحداثة ليست مصطلحاً ، وأن الحداثة حداثات ، فحداثة (أدونيس) مثلاً تختلف عن حداثة السيدة حومه (خالدة سعيد)، ثم عرّف البعض (الحداثة) – التى ليست مصطلحاً فى عرفهم – بأنها (التجديد الواعى) تبرّأ بعضهم من حداثة (أدونيس) ، وكرربعضهم إيمانه بالدّين والتراث!!

ولأن من حق الأجيال الجديدة أن تعرف ، وتفهم ، فقد صار واجباً التوضيح أو البيان حتى لا يقال : إن هذه الأمة لا تسمع ولا تعى . والتوضيح على كل حال (فرض كفاية) إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

فالحداثة – وفقك الله – مصطلحٌ ، شاء الدّاروِيش أو أبوا ، هكذا أرادها من صنعوها وصدّروها إلينا ، وعبرّوا عنها فى كتاباتهم بأنها (مصطلح) واستخدموا لفظة

(term)الإنجليزية حين عرّفوها ، وقالوا : بأنها (مصطلح يضم عدّة اتجاهات خاصة ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين)، ثم إنهم أكثروا من تعريفها ، ولكنهم فى الأغلب الأعمّ اتفقوا على أنها تعنى (عدم التواصل) أو الانقطاع عن الماضى ، وهو ما ألح عليه عرّاب (الحداثة) فى بلاد (أدونيس) وسأزيده إيضاحاً إن شاء اللّٰه فى الصفحات التالية .

يقول التعبير الإنجليزى لعدم التواصل أو الانقطاع أو الرفض : (modernist literature is a literature of discontinnity)وقد عرّف الحداثة read. hأحد روادها بقوله : الحداثة تعنى الانفصال عن كل التقاليد..radition....وأردف قائلاً : إن الهدف الذى سعت إليه أوربة فى خمسة قرون قد تم التخلى عنه الآن .

The oxford companincion to English : literature , 1989, p. 658)

وواضح أن بلاد المنشأ والمصدر تعدّ الحداثة مصطلحاً له معنى وله دلالة ، حتى لو تعددت تياراته واتجاهاته ودراويشه ...وإذا عرفنا أن أجدادنا العرب القدماء كانوا من أكثر الناس حرصاً على الدقة واختيار الألفاظ ذات الدلالة الدقيقة ، فإنهم لم يتركوا الأمور مبهمة أو غائمة أو غامضة ، وعرّفوا ما يعنيه المصطلح أو الاصطلاح ، لعل علماء الأصول – أو الأصوليين – كانوا الأسبق فى هذا المجال ، فقد قال السيد الشريف أو أبو الحسن ابن محمد بن على الجرجانى فى كتابه " التعريفات ":

(الاصطلاح) " عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشىء باسم ما ينقل عن موضعه الأول .

الاصطلاح : إخراج اللفظ من معنى لغوىّ إلى آخر لمناسبة بينهما ، وقيل : الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى ، وقيل : الاصطلاح إخراج الشىء عن معنى لغوىّ إلى آخر لبيان المراد ، وقيل : الاصطلاح لفظ معّين بين قوم معينّين.

(راجع: طبعة بغداد سنة ١٩٨٦، ص ٢٢) .

كلام الجرجانى واضح أيضاً فى أن (الحداثة) لابد أن تكون مصطلحاً بأى معنى من المعانى السابقة ، حتى لو تعددت تياراتها واتجاهاتها ودراويشها ..فالقول بأنها مصطلح لا يُجافى العلمية أو الأكاديمية ولا يقدح فيمن يقول بأنها تدخل تحت دائرة الاصطلاح ، أما من يقولُ بغير ذلك ، فلابد ان له غايةً أخرى أو هدفاً آخر، لم يستطع حتى الآن التعبير عنه .

وهناك أكثر من دراسة وأكثر من بحث (أكاديمى) ، و(غير أكاديمى)تعرّض فيها الباحثون العرب إلى مصطلح (الحداثة) ، كل من زاويته وتصّوراته وقدراته ، وعدّوها (مصطلحاً) ، يُفرض نفسه فى المجال البحثى (راجع مثلاً : عبد السلام المسدى و آخرون ، الشعر ومتغيرات المرحلة – حول الحداثة وحوار الأشكال الشعرية الجديدة ، بغداد ، د.ت).

فالقول بأن الحداثة ليست مصطلحاً اعتماداً على تعدّد تياراتها قول غير دقيق وغير علمى ، فالحداثيون فى بلادنا العربية ، وبلاد المنشأ والمصدر، ينطلقون من نقطة واحدة هى (الانقطاع) عن الماضى ،وإن تنوّعت بهم الوسائل بعدئذ فى التعبير عن هذا الانقطاع – عدم التواصل – كما نرى فى انعكاس أثر النظرية النفسية عند فرويد والأنثربولوجى عند (جيمس فريزر) ، وكتابه " الغصن الذهبى " ، و " الأسطورة " عند (جيمس جويس) فى روايته " عوليس " وغيرهم .

وإذا كان البعض عندنا يحاول أن يجعل الحداثة قاصرة على (التجديد الأدبى)فإن هذا لا ينفى عندهم عملية الانقطاع أو عدم التواصل مع التقاليد الأدبية ، وهو ما

يؤكده لنا الحداثيون المعاصرون من نَفْيهم للأشكال الموروثة وخاصّة فى الشعر ،وإسقاطهم الوزن والقافية تماماً لحساب ما يسمى بقصيدة النثر !!

وإذا كان البعض يتبرأ من (حداثة) أدونيس التى تعنى الثورة على الدين واللغة فهذا مؤشر طيب ، ويجعل الأمور أكثر يسراً وانسجاماً إذا تبلورت فى عملية رفض المصطلح المراوغ – الحداثة – وإحلال مصطلح التجديد الواعى أو الابتكار أو الإبداع أو غير ذلك من مصطلحات لا تقبل الجدل والتأويل ، وبخاصة أن أهل الحداثة فى (الغرب الرأسمالى) قد تخلوا عنها بعد أن اتضحت عبثيتها ، وأخيراً سقطت فى (الشرق الشيوعى)مرجعيتّها ودعامتها .

وسوف نرى فيما يلى ملامح أخرى للحداثة العربية فى تحولاتها وجذورها لنرى أنها تتحرك فى إطار مضاد للإسلام والأدب العربى بتقاليده الفنيّة الموروثة ، بهدف إحلال بديل آخر يعبّر عن هويّة جديدة ..وعالم جديد ليس لنا ولسنا له .

من زمن الانحسار إلى عصر الازدهار؟ !

سؤالان طافا بذهنى مؤخراً وأنا أقرأ خريطة الواقع الأدبى والثقافى فى بلادنا العربية ، وأتأمل تضاريس هذا الواقع وزحف (التصحّر) على سهوله ووديانه ، وجفاف أشجاره وثماره ، ونموّ (الهالوك) و(الحسك) على جباله وصخوره وهضابه .

السؤال الأول : يقول : لماذا استعادت ظاهرة التخريب الأدبى والثقافى المسماه (بالحداثة) زمام المبادرة بعد هزيمة ساحقة أصابتها فى الأعوام الماضية ، فازدهرت بعودتها مرة أخرى على صفحات الصحف والدوريات والكتب ، وأخذ رموزها يرشقون غيرهم بنظرات الشماتة والإغاظة ...بالرغم من أن أصول الظاهرة ومرتكزاتها قد تحطمت فى بلادها ، وأن كثيراً من مفاهيم العالم الفكرية والأيديولوجية قد أصيبت بالزلزال ، وراح الكل – على الأقل – يتوقفون بالتساؤل والتأمل حول طبيعة الفكر الذى اعتنقوه والأدب الذى صاغوه ؟

والسؤال الثانى : الذى طاف بذهنى وأرّقنى طويلاً : لماذا يزعم أنصار ظاهرة (الحداثة) ويرضون المصطلحات الأخرى الأقرب إلى الدقة والتعبير الصحيح ، مثل : التجديد والتطوير والتحديث (وهو غير الحداثة)؟

السؤالان : كما نرى يدوران حول ظاهرة (الحداثة)، والإصرار على أن تكون محور الحركة والتصوّر فى واقعنا الأدبى والثقافى ، ومحاولة الإجابة عليهما تبدو ضرباً من فروض العين لابد من أدائها والقيام بها .

لن يكون له وجود !

لقد أذهلنى منذ فترة أن يصدر فى إحدى العواصم العربية ، قرار يسند تحرير مجموعة من المجلات الثقافية إلى أشخاص ينتمون إلى (الحداثة) ويدعون إليها ، ويمثلون صورتها الواضحة التى لا تتخفى ولا تخافت ..هؤلاء الأشخاص يرفضون بوضوح

الانتماء الإسلامى ، وبعضهم طائفى متعّصب مغرق فى تعصّبه وعدوانيّته وطائفيته ؛ وإن ارتدى مسوح الحداثة ، وبهذا القرار تصبح جميع المجلات الثقافية والأدبية فى العاصمة العربية المشار إليها تحت سطوة أهل (الحداثة)على تفاوت أفكارهم ومستوياتهم واتجاهاتهم ، وهو ما يعنى بداهة أن التصوّر المغاير لتصوّرات أهل الحداثة – ومنه الإسلام – لن يكون له وجودٌ أبداً على صفحات الدوريات الأدبية والثقافية هناك !

البديل .....!

والملفت للنظر أن الإلحاح الآن على تناول الحداثة يهدف فى مجمله ، إلى أن الحداثة هى البديل وهى المنقذ من الضلال وبدونها لن تتقدم أمة العرب والمسلمين ! ومن ثمّ نجد الاهتمام الواضح بتلميع رموز (الحداثة)والحديث عنهم ، وعن أخبارهم وإبراز صورهم وتقديمهم بوصفهم (الروّاد) الذين يعّبدون طرق التقدم والاستنارة والدخول إلى القرن الحادى والعشرين ..وتصل المفارقة حدّاً غير مقبول حين تحتفى الصفحات الأدبية فى الصحف السيارة والمجلات الأسبوعية بشباب غضّ ، ليس له نتاج يذكر (لقلتّه أو ضعف قيمته) فتقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل عبقرية هؤلاء الشباب وإنجازهم غير المسبوق ، بينما لا يستطيع بعضهم أن يقيم جملة عربيّة صحيحةً ، أو يكتب إملاءً صحيحاً ، أو ينجو من الأخطاء النحوية والصرفية والبلاغية !!

التعتـــيم ...!

إن المفارقة تصل إلى حد المهزلة حين يكون المقابل لذلك ، هو التعتيم على من لا يسايرون (الحداثة) وأهلها – ومن باب أولى التعتيم على أعدائها – والصمت على القضايا التى يطرحها الآخرون أو مهاجمتها بقسوة وشراسة ودون مراعاة لأصول الحوار ومنطقة ، بل يصل الأمر أحياناً إلى حد الابتذال والهبوط حين تفتعل المعارك لتجريح المخالفين وسبّهم بطريقة مقذعة ، وحرمانهم من الدفاع عن أنفسهم !!

فكرة التقاليد

إن الدعوى التى يتذرع بها أهل (الحداثة) هى إبداع أدب جديد ، لا يكرس التقليد والجمود والتخلف ، وكل الناس فيما أرى مع الإبداع الجديد الذى يمثل إضافة وثراء وغنى للحياة الأدبية بخاصة والإنسانية بعامة ..ولكن القوم ينسون فى حمأة طغيانهم على الآخرين أن التجديد الحقيقى فى الأدب لابد أن يقوم على أسس راسخة وتقاليد واضحة ، وهو ما فعله كبار المجددين فى أدبنا العربى على مرّ العصور ، وكذلك كبار المجددين فى الآداب الأجنبية ..إن العالم كله قد تواضع على فكرة (التقاليد الأدبية) التى تحكم الأبنية الأدبية المختلفة ..وهذه التقاليد مسألة ضرورية لا يمكن إهمالها أو إسقاطها من الحساب ..وإلا انمحت الفروق بين الأجناس الأدبية أو فنون الأدب المتعدّدة ..كان أبو تمام مجدداً ، وكان المتنبى مجدداً ولكن من خلال التقاليد الأدبية للشعر وأولها العروض والقافية وما يعرف بموسيقى الشعر ، وكذلك كان (ت.س إليوت) وهو من كبار المجددين فى الإنجليزية ، حيث انطلق من فكرة (التقاليد الأدبية)التى تحدث عنها طويلاً ، وأفاض فى الحديث . وقد أتى هؤلاء المجددون الحقيقيّون بالجديد ، والإضافة

والثراء ، دون افتعال أو تزيد ..فى مقابل ذلك نجد عندنا شابّاً يمتدح شابّاً آخر لأنه عصف بقيود الخليل أو ما يسميه تجاوز المدى الخليلى المحدود ، أو القصيدة التقليديّة الضّيقّة التى تعجز عن احتواء الطاقة الإبداعية الفائضة !

والسؤال الآن : هل المدى الخليلى محدود حقّاً ؟ وهل تعجز القصيدة التقليدية عن احتواء أية طاقة إبداعية فائضة أو غير فائضة؟

تستعص على العجزة !

إن المدى الخليلى يمنح نفسه للشعراء الموهوبين حقّاً ، والقصيدة التقليدية تعطى نفسها للموهوبين الكبار الذين يخلد شعرهم على مدى الأعصر ..ولكن المدى الخليلى أو القصيدة التقليدية تستعصى على العجزة وأنصاف الموهوبين وهواة الشهرة وأصحاب الهوى ..إذا كنا حقّاً نبحث عن الإيقاع الهارمونى والتماسك الموسيقى ، فكيف نجدهما بعيداً عن المدى الخليلى وموسيقاه ؟ هل نجدهما فى تلك التعبيرات النثرية التى تعانى من الخلل التركيبى ولا تخضع لنسق موسيقى أيّاً كان هذا النسق ؟ إن الشعر موسيقى وكبار المجددين فى عصرنا كانوا ينطلقون من الموسيقى : **محمود حسن إسماعيا ، نازك الملائكة ، بدر شاكر السيّاب ، عبده بدوى** وغيرهم . ولا أدرى أى فضاء متألق بهىّ للحداثة وأية إمكانات رحبة لها يمكن أن تضيف لثروتنا الأدبية فى العصر الحديث ؟

إن الحداثة كما قدمها روّادها هى التمرّد على السائد والثابت والموروث ، فأية موسيقى يمكن أن تقدمها الحداثة فى شعرنا المعاصر ؟ هل نعيش مرحلة تناقض وتدليس أم ماذا ؟ لعل أهل الحداثة يجيبون .

بعض الأمـــــور

ويظل التساؤل قائماً حول عودة (الحداثة) إلى الازدهار على صفحات الصحف والمجلات ، بل والسيطرة الكاملة من جانب أهل الحداثة على المجلات الأدبية والثقافية فى بعض الأقطار العربية ، ثم علاقة الحداثة الأدبية بالحداثة الفكرية .

إن الإجابة تتطلب أن نقرر بعض الأمور فى هذا الصدد :

أولاً: أن التيار غير الحداثى (ويدخل ضمنه دعاة الأدب الإسلامى) أبطأُ حركةً ، وأقلُّ تماسكاً فضلاً عن إمكاناته المتواضعة فى مجالى الإعلام والنشر ، وافتقاده لاستراتيجية تحكم حركته وانطلاقه .

ثانياً: فى المقابل نجد التيار الحداثى أكثر تماسكاً وأنشط حركة وأقوى اتصالاً على صعيد العالم العربى ، ولعل وجودهم العددى المحدود ، يجعلهم أقرب إلى التعاون والتفاهم ، ولا نُغَالى إذا قلنا : إنهم يعرفون بعضهم بعضاً بالاسم ، وهم بعد ذلك يتنادون فى كل القضايا والمشكلات التى تعنيهم أو تمسّ حركتهم .

إنهم منظمون جيداً ومتساندون ، ولديهم أساليب وقدرات متنوعة على مواجهة الآخرين ، وتحطيمهم عند الضرورة بأساليب مشروعة وغير مشروعة .

ثالثاً : يستغل التيّار الحداثى ترهّل الآخرين ، وثغراتهم لينفذ إلى المواقع الحساسة والمؤثرة إعلاميّاً و دعويّاً ..وقدتمّ لهذا التيار فى السّتينيّات السيطرة والمنظورة ودور النشر الكبرى ، مما أتاح لرموزه التجّذرفى أعماق الحياة الثقافية والأدبية واحتضان المواهب الجديدة من الشبان واستغلال حاجتهم للنشر والدعاية لترويضهم وتدجينهم وتحويلهم إلى (حداثيين) شكلاً ومضموناً .

رابعاً: يتخذ أهل الحداثة من شعار (التقيّة) فى التاريخ الإسلامى القديم ، وسيلة إلى تحقيق غاياتهم ، وعن طريق المهادنة أحياناً والتلوّن فى أحيان أخرى ، والمراوغة فى أحيان كثيرة فإنهم يضمنون الاستمرار فى مواقعهم ، مما يمكنهم من البروز أو الظهور عند اللزوم بصورة كثيفة وملحّة ، بل يحدثون ضجيجاً يجعلهم كأنهم أغلبية ساحقة ، تعترضها أقليّة جامدة متخلّفة ضد منطق التاريخ !

خامساً: ينبغى أن نعْترف أن بعض المنتمين إلى التيار الآخر ، وبخاصة من المحسوبين على تيار الأدب الإلامى لا يملكون موهبة أدبية ناضجة ، وإن كانوا يملكون الكثير من العواطف الصادقة والنوايا الحسنة ، مما يجعلهم واجهة غير موفقة ، بل واجهة منفّرة للأدب الإسلامى ، وبخاصة حين يكون محصولهم الأدبى والثقافى محدوداً ، وقراءاتهم قليلة أو نادرة أو بعيدة عن مجال المتابعة للحركة الأدبية والفكرية فى أفقها الواسع والعريض .

مسألة طبيعية !

إن تأمل هذه الأُمور بعين فاحصة يجعل من عودة الحداثة إلى الازدهار على صفحات الملاحق الأدبية والمجلات الثقافية مسألة طبيعية ، حتى لو انهارت الأسس الأيديولوجية والمعايير الفكرية التى تقوم عليها الحداثة فى شتى أنحاء العالم ،وبخاصة فى الاتحاد السوفياتى .

وأعتقد أن هذا يقودنا إلى محاولة الإجابة عن العلاقة التى تربط بين الحداثة الأدبية والحداثة الفكرية .

تجاوز اشتقاقى

إن البعض يسعى مخلصاً إلى الفصل بين حداثة الأدب وحداثة الفكر، ويرى أن الحداثتين متغايرتان ولا علاقة بينهما ...وقد حاولت أن أقنع نفسى بهذا التصوّر، إذ لا ضير أن يسعى بعضهم من أجل حداثة أدبية تتجاوز النماذج المكرورة والباردة فى أدبنا المعاصر، إلى نماذج أكثر قوة ونضجاً وجدةً وابتكاراً وحرارة ، وإثارة أيضاً ، طالما كان أصحابها يملكون الموهبة الأصيلة والأداة الفنية الناضجة ..ورأيت أنه لا بأس أن نطلق على التجديد الأدبى لفظة (الحداثة الأدبية) ، مع ما فى لفظ (الحداثة) ذاته من تجاوز اشتقاقى لا يقرّه بعض علماء اللغة ، وهى على كل حال منحوتة قصداً من أجل دلالة معينة لها علاقة بالفكر، قبل أن تكون لها علاقة بالأدب .

لقد حاولت أن أقنع نفسى باستخدام المصطلح (الحداثة الأدبية) ، وإن كان داخلى غير مقتنع أصلاً ، لسبب بسيط ، وهو أن أية نظرية أدبية لابد أن تنطلق من مفاهيم فكرية أو أسس أيديولوجية ، أيّاً كانت هذه الأسس أو تلك المفاهيم !

أ

على كلّ ، فقد أردت أن أستوثق بالحجة الدامغة فى مجال الحديث عن العلاقة بين الحداثة الأدبية والحداثة الفكرية ، ولم أجد أفضل من الرجوع إلى أَبيـّات رائد الحداثة الأدبية الذى وُضِع فى واجهة الأدب الحداثى ، أعنى (أدونيس) الذى صارت له شهرة داوية فى المحافل الأدبية والفكرية على صعيد العالم العربى ، ودوائر الاستشراق الأوروبى بخاصة الفرنسى .

إن كثيراً من الذين استنكروا منهج (أدونيس) أو (على أحمد سعيد أسبر) ، أو (على أسبر) – وهو اسمه الأصلى ، لم يستنكروا على أساس علمى أو منهجى ، بل كان استنكارهم فى الغالب ، عاطفيّـاً يقوم على الهجاء أكثر مما يقوم على الدّحض والتفنيد والكشف ، وهذه مهمة صعبة وجليلة أيضاً ، تحتاج إلى جهد ، بل إلى جهاد كبير ، لا يصبر عليه إلا أولوا العزم من الرجال ، وقد قام بشىء من ذلك فى الستينات عبر مجلة (الرسالة)فى إصدارها الثانى عدد من الأدباء والشعراء ، منهم : الدكتور عبده بدوى ، والدكتور أحمد كمال زكى ، والأستاذ عباس خضر ، والدكتور عبد الكريم الخطيب – يرحمهما الله – وغيرهم من الكتاب فى تلك الفترة ، الذين رأوا فى (حركة الرفض) التى يقودها أدونيس – كما كانت تسمى الحداثة آنئذ – خطراً على العروبة والإسلام ،والشعر أيضاً .

قراءة عابرة

لا حاجة لى إلى استدعاء شعر أدونيس وتقديم النماذج التى تحمل رموزاً وأفكاراً تعبرّ وتُشير إلى طبيعة حداثته ومنهجه ..لأنى سأكتفى بقراءة عابرة لمجلته (مواقف)التى أصدرها فى بيروت أواخر عام ١٩٦٨عقب هزيمة ١٩٦٧، ففيها من فكره الواضح وسلوكه الصريح ما يكفينا عناء تفسير شعره أو تأويله ..إنها (المانيفستو) الحقيقى الذى يعبّر عن الرجل ومنهج الحداثة فى أرضيته الفكرية وطلائه الأدبى ..وأقول أيضاً : لا حاجة بى إلى ترديد ما قيل عن الرجل ونشأته وتكوينه الثقافى وانتماءاته الطائفية وولائه لمن رعوه علميّاً وأدبيّاً ، فهذه أيضاً قد تدخل فى سياق التأويل الذى يثير من الجدل أكثر مما يثير من الاتفاق ..إننا سنقرأ ما كتبه (أدونيس) فى مجلته (مواقف) مذيلاً بتوقيعه وبخط يده .

فى أول عدد من (مواقف) يفتتحه (أدونيس) بمقدمة قصيرة ، منها :

" نلتقى فى (مواقف) ، كوكبة من أصدقاء ، تحتضن أصواتنا وأصوات الخلاّقين جميعاً . تُقاسمنا ، **لكى تنمو وتستمر ، خبزنا اليومىّ .إنها تعبير عنا ، وجزء منا ، وتكملة لنا** .إنها لذلك ، حقيقة ورمز :تفجر جيل عربى اختبر ما فى الحياة العربية من تصدّع وخلل وقرّر أن يبحث من جديد ، وأن يكتشف ويبنى من جديد " .

إلى هنا يبدو كلام (أدونيس) مقبولاً ، لأنه يتحدث عن موقف ويرصد حالة ويعبّر عن غاية ، ولكنه بعدئذ يبدأ فى كشف أوراقه تدريجيّاً ، حين يتكلم عن التدمير والرفض :"هكذا تطمح (مواقف) إلى أن تكون استباقاً ، كل استباق إبداع . الإبداع :هجوم ما نرفضه وإقامة ما نريده . الحضارة إبداع : ليست استخدام الأدوات بقدر ماهى

ابتكار الأدوات . كذلك الثقافة : ليست استعمال اللغة بقدر ماهى تجديد اللغة وخلقها المستمران " .

ثم يستمر فى حديثه الذى يكشف عن غايته الرافضة المدمّرة :

" المعرفة ، إذن ، هجوم ، هى مالم نعرفه بعد ، وليست الحرية ، إذن ، حقّ التحرك ضمن المعلوم المقنّن وحسب ؛ إنها ، إلى ذلك وقبله ، حق البحث والخلق والرفض و التجاوز؛ إنها ممارسة ما لم نمارسه بعد هى مواقف " .

هـــــالة القداسة !

ويكشـف عـن الجـذر الحقيقـى لمنهجـه الهـادف إلى نسـف الثوابـت نسـفاً كاملاً ؛ فيصف (مواقف) قائلاً :

" إنها مناخ للمجابهة . إنها فعل المجابهة ، تزول فى هذا الفعل هالة القداسة .لن تكون هناك موضوعات مقدسة لا يجوز بحثها . لن تكون هناك حقائق ينبغى إخفاؤها أو تجاهلها أو التغاضى عنها . هذا الفعل يتخطّى كلّ تكريس ، كلّ نهائية ، كل سلطوية ، إنه النقد الدائم ، وإعادة النظر الدائمة . إنه الطوفان المتلاحق الذى يغسل وويضىء كل شىء "

(مواقف ، العدد الأول ، تشرين الثانى ١٩٦٨).

يزيل اللبس !

وإذا كانت افتتاحيات (أونيس)التالية لأعداد مواقف تدور فى إطار الرفض وعدم القبول للثوابت والمقدسات من خلال أسلوب أقرب إلى المراوغة ، وإثارة الالتباس فإنه فى العدد السادس يزيل اللبس ، ويصرّح برؤيته وغايته ، ويؤكد مرجعيتـّه الشيوعيّة الخالصة ، يقول :

"مانطمح إليه ونعمل له كثوريّين عرب هو تأسيس عصر عربى جديد . نعرف أنه تأسيس عصر جديد يفترض ، بادىء بدء ، **الانفصال كليّاً عن الماضى** . نعرف كذلك أن نقطة البداية فى هذا الانفصال – التأسيس هى النقد : نقد الموروث ونقد ماهو سائد شائع لا يقتصر دور النقد هنا على كشف أو تعرية ما يحول دون تأسيس العصر ما يحول دون تأسيس العصر الجديد ، **وإنما يتجاوز إلى إزالته تماماً** .

إن ماضينا عالم من الضياع فى مختلف الأشكال الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية ؛ إنه مملكة من الوهم والغيب تتطاول وتستمر.وهى مملكة لا تمنع الإنسان العربى من أن يجد نفسه وحسب ، وإنما تمنعه كذلك من أن يصنعها ".

الدين الجوهر

كتب ماركس يقول سنة ١٨٤٣ :" إن مهمتنا هى أن نعرّى العالم القديم تعرية –تامة ، وأن نعطى للعالم الجديد معنى إيجابيّاً (فى رسالته إلى صديقة روجيه) . ويتابع فى الرسالة نفسها :(نريد أن نجّدد العالم الجديد بنقد العالم القديم ...) إننا نعلم علم اليقين ما يجب علينا أن نحقّقه فى الحاضر وهو : نقد النظام القائم كله نقداً لا هوادة فيه ..نقداً لا يخشى نتائجه ولا صراعه مع القوى القائمة ".

ولما كانت بنية الثقافة والحياة العربيتين السائدتين تقوم فى جوهرها ، بالدين فإننا نفهم أبعاد ماركس من أن (**نقد الدين شرط لكل نقد**)(مشاركة فى نقد فلسفة الحق عند هيغل ، الآثار الكاملة ، مجلداً ، ٨٣)، وإذا فهمنا بالتالى أن النقد عند ماركس ليس عقليّاً تجريديّاً ، بل عملى ...، نستطيع أن نقول : **إن النقد الثورى للموروثات العربية شروط لكل عمل ثورى عربى)**

(مواقف ، العدد ٦، ١٩٦٩، الافتتاحية).

وواضح من هذا الاقتباس الذى طال بعض الشىء أن الحداثة فى وعى (أدونيس)ومن سار على نهجه من أهل الحداثة المعاصرين ، ترتبط بالموقف من الدين ، أو قل بنفى الدين من واقع الأمة وتصوّرها ، مهما كانت نتائج هذا النفى . ولنتذكّر أن الدين هنا يُقصد به الإسلام وحده ، لأن الأمة العربية لا تملك إلا ديناً رئيسّياً تؤمن به الأغلبية الساحقة التى تمثل ٩٥٪ من أبنائها تقريباً ، ولا يقصد به النصرانية أو اليهودية ، لأن (أدونيس) فى

مجلته (مواقف) قد تعاطف مع النصرانية وحدها دون الإسلام ، ولم يهاجم اليهودية أبداً وأتاح لعدد من النصارى ورجال الدين المسيحى أن يعبرّوا بكل حريّة – بل يبشرّوا بمعنى أدق – بعقيدة التثليث أو النصرانية المنحرفة (انظر مثلاً مقالة : الثورة بين ديانة الآب وديانة الابن ، مواقف ، العدد ٣، ص ١٤٩) ، المقصود إذاً هو الإسلام وليس غيره!

الانفصال كليّـــــاً

إن نفى الدين ، أو إسقاطه من معادلة الوجود العربى – إن صحّ التعبير – تبدو الهدف الأوحد للحداثة العربية المعاصرة ، ويستتبع ذلك إسقاط كل ما يتعلق بالإسلام من مقومات حضارية ولغوية وتصوريّة ، وهو ما عبرّ عنه (أدونيس) (الانفصال كليّاً عن الماضى) بكل ما يرمز إليه هذا الماضى من معتقدات وأفكار وإنجازات وإخفاقات . وبالطبع فإن الماضى العربى الذى صنعه الإسلام يمثل العقبة الكئود التى لا يكفى الانفصال عنها ، بل لابد من إزالتها تماماً ، لأنها تحول دون تأسيس العصر الجديد كما يرى (أدونيس).

وإذا عرفنا أن هذا الكلام قد قيل عقب هزيمة ١٩٦٧التى أكّدت وجود الدولة اليهودية على أرض فلسطين المقدسة ، بكل ما ترمز إليه هذه الدولة من بعثٍ للماضى (لا الانفصال عنه)، واستدعاءٍ له لغة وتصوراً وآثاراً (ليس إزالته تماماً) ، وتأسيس عصر يهودى جديد ، أدركنا مدى المفارقة التى تريدنا أن نزيل ماضينا بينما يُوجد غيرنا ماضيه !

مملكة الوهم والغيب !

إن أدونيس ، لا يتورّع عن وصف ماضينا بالضياع فى مختلف المجالات أو ما يسميه (الأشكال) ويبدأها بالشكل (الدينى) أى الإسلامى ، ولا ندرى ما المقصود بالضياع تماماً؟ ولكنه حين يصف .ماضينا بمملكة الوهم والغيب التى تتطاول وتستمر ، ندرى جيداً أنه يرفض الإسلام جملة وتفصيلاً ، ويلقى عليه تبعة أن يجد (العربى) نفسه ، أو يصنعها !

إلى هذا الحدّ وصلت أفكار الحداثة عن (أدونيس) بحيث صار إلغاء الماضى ،وإلقاء تبعة الحاضر عليه مدخلاً ضروريّاً لتأسيس العصر الجديد الذى يريده .إنه عصر بلا إسلام ، ولم يقل لنا :لماذا يرفض الماضى ، ولماذا عدّه (مملكة من الوهم والغيب تتطاول وتستمر)؟!

إنه مقتنع تماماً أن (الحداثة) لابد أن تزيل الإسلام دون تقديم أسباب منطقية أو جوهرية ، وجرجعه فى ذلك ما يقوله (لينين) ، و(هيغل)..أى إن مرجعيته العقدية والفكرية هى (الماركسية)كما يراها صنّاعها وعشّاقها ..ولما كانت (الماركسية) نقداً لما هو سائد وهدم له ، فلا بد أن ننقد – كما يريد أدونيس – ماهو سائد عندنا ونهدمه لنبنى (العالم الجديد) على أنقاض العالم القديم الذى يقوم فى جوهره – ثقافةً وحياةً – على الدين ؛ ولذا يستشهد(أدونيس)بمقولة ماركس :(نقد الدين شرط لكل نقد) وهذا النقد أساس بناء العصر الجديد ..أى العصر الماركسى !

استيعاب الدّرس!

ولا ريب أن هزيمة الماركسية فى بلادها مع انهيار الامبراطورية الشيوعية فى الاتحاد السوفياتى وأوروبة الشرقية والتوابع الإفريقية والآسيوية واللا تينية ، ثم التنديد بقادة ومفكرى الماركسية وحلّ الأحزاب الشيوعية فى العالم أو تغيير أسمائها ، قد كشفت زيف (الحداثة) العربية التى هى الماركسية أو الشيوعية كما قدمها (أدونيس).

وإذا كان العالم كله قد استوعب درس سقوط الماركسية ، فإن "الحداثيين " أو الماركسيين العرب هم الاستثناء الذى لم يستوعب الدرس حتى الآن ، وظل على ولائه (الحداثة) ، ليس من أجل الفقراء أو الكادحين ، ولكن من أجل إزالة (مملكة الوهم والغيب) التى يقصدون بها الإسلام !

نسق الدين !

ولما كان (أدونيس) عرّاب (الحداثة) فى بلادنا العربيّة صريحاً فى طروحاته واضحاً فى مقولاته بنفى (الإسلام) وحده ، فإنه كان صادقاً مع نفسه حين طبّق تصوّره الحداثى على دراساته الأدبية والنقدية ، وكذلك إنتاجه الأدبى .

ولقد نشر (أدونيس) فى مجلته (مواقف) موضوعات عديدة تتعرض بالنقد للدين والوحى من منظورات مختلفة تحمل عناوين من قبيل : هل للدين منطقه الخاص ؟ -الثورة والوحى – هل الدين قابل للنقد الفلسفى ؟ - معنى موت الله عند نيتشه – التناقض فى الوحى الإلهى ...إلخ ، مما يعنى أن الرجل يجعل هدف (الحداثة) الأول هو نسف الدين ، أو إزالته تماماً وفق تعبيره (!)، لأن هذه الموضوعات تصبّ فى بحر هذا الهدف ، ولجّتِهِ العنيفة .

صورة الإله !

بل إنه ينشر قصائد تخدم هذه الغاية ، وتتحدث صراحة عن (الإله) بصورة غير لائقة ، بل مقزّزة ، ومنها قصيدة (بلند الحيدرى) التى عنوانها (لو مرّة نمت معى) ، وقد جاء فيها :

(يا سيدى ..

لن نوقد الشموع تعودْ

لن نغسل الدروب بالدموع كى تعودْ

ولن نحبّ ربك ا لمسلول مثل الجوع ..كى تعودْ

عد مثلما نريدْ

ككل شىء كاذب يضحك ملء دارنا

ككذبة الصباح فى تحيّةٍ لجارنا

لأننا نريد أن نعرف فى الخطيئة الإنسانْ

لأننا نريد أن نعبد فيك اللّه والشيطانْ)

ثم يقول فى مقطع آخر أكثر جرأة :

(لو مرّة عرفت يا إلهى الكسيح

كيف الزنا يصيرْ

كيف تصير ليلة بهوْلها

كيف أنا أصير

دمّلة فى أضلعى

وكيف ، كيف ، سيدى أصيرْ

بجرحى الصغير

بليلى المصلوب عبر مخدعى

أكبر من صليبك المرمىّ خلف الشمس ، خلف الريحّ

أكبر منك يا إلهى الكسيح

عد مرّة كوجهى القبيح

كجسمى القبيح ...إلخ).

(مواقف ، العدد ٤ ، أيار – حزيران ، ١٩٦٩، ص ٧٣).

وإذا كان الشاعر (بلند الحيدرى) يتعامل مع لفظ الجلالة بهذه الصورة الجريئة والمقززة ، فإنه كان حريصاً على استخدام المصطلحات النصرانية بغزارة مثل : الخطيئة والصليب ، وهو الحرص الذى حافظ عليه كذلك شعراء آخرون نشروا فى مواقف مثل : مظفّر النواب ، وأدونيس نفسه .

(راجع : العدد السابق ص ٨٤، ٨٩وما بعدهما) .

الظواهر النافرة!

لقد تابع أدونيس فى دراساته ، بل وترجماته ، مسيرته الحداثية التى تقوم على الإزالة الكاملة للماضى ..ولعل أول دراساته ما كتبه حول الشعر العربى عبر عصوره المختلفة (مقدمة للشعر العربى ، دار العوة ، ط ٢، بيروت ، ١٩٧٥) ، الذى نشره مسلسلاً فى مجلة (المجلة) المصرية أواخر الخمسينات وأوائل الستينات . لم تعجبه فى الشعر العربى إلا الظواهر النافرة والمتمردة ، طرفة بن العبد ، بشار بن برد ، أبو نواس ، ابن بابك ..إلخ ..ولم يرض إلاّ بالنماذج التى خالفت القيم الدينية والفنية ..وتوقف عندما يسمى قصيدة النثر مبشراً ومباركاً !

لقد توالت دراسات أدونيس وأشعاره ، وهى تنبىء عن استمرار منهجه فى الرفض والإزالة ، وفى كتابة " الثابت والمتحول " الذى حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف فى بيروت ؛ خلاصة واضحة لإيمانه الماركسى ، وموقفه من أدبائنا الذى تشكّل وفقاً لمدى قربهم أو ابتعادهم عن الدّين : أى الإسلام !

شيوخ ومريدون !

ويمكن القول : إن (أدونيس) استطاع أن يحقق نجاحاً ملحوظاً على مدى عقود ثلاثة ، واستطاع مع آخرين ، أن يجذب الأتباع والأشياع والدراويش إلى عالم الحداثة الأدبية والفكرية جميعاً ، بل إن بعض (الماركسيين) تخلو عن (الواقعية الاشتراكية) لحساب (الحداثة) الأدونيسية وبوجه خاص في مجال الإنتاج الأدبي ؛ بغموضها وسيرليتها وهذيانها وانخلاعها عن القيم الفنية والتقاليد الأدبية الموروثة ، وبصفة عامة فقد صار للحداثة على مستوى (العالم العربي) شيوخ ومريدون يسيطرون على الساحة الأدبية ويملكون مفاتيح الشهرة والتعتيم ، ويا ويل من تحدثه نفسه بالوقوف في وجه الحداثة بالمنطق والعلم والحجة !!

الإلحاح الدءوب !

لقد تسللت الحداثة إلى أماكن حساسة ومهمّة فى مجالى الإعلام والثقافة ، ولم يكن ازدهار المناهج النقدية التى تُسقط (نقد المضمون) وتركّز على (نقد الشكل) ازدهاراً اعتباطيّاً أو عشوائيّاً ، بل كان نتيجة لهذا الإلحاح الدءوب والمستمرّ الذى جعل القيمة الأدبية للشكل الأدبى ، وأغفل عمداً الإشارة إلى الموضوع الأدبى ، حتى لو كان إلحاداً صارخاً أو جنساً مكشوفاً أو شذوذاً فجّاً ..وليت الأمر توقف عند هذا ذلك ، بل تعداه إلى التزوير والتزييف فى الأشكال الأدبية نفسها ؛ إذ نَبَتَ نُقَّادٌ للحداثة يفسّرون النصوص الحداثية التى لا تلتزم بأى تقليدٍ فنّى تفسيرات غريبة وعجيبة ، بل مضحكة فى بعض الأحيان ، مما جذب إلى الساحة أصحاب المواهب الضحلة وطلاب الشهرة ، وكان جواز مرورهم الوحيد هو الإيمان بالحداثة ..أو الماركسية التى تعنى هدم الماضى وإزالته تماماً وبناء عصر جديد يستباح فيه كل شىء : الإلحاد وتفجير اللغة وهدم التقاليد الفنيّة والممارسة السلوكية الحرّة ، والانتماء إلى واقع غريب ، والتبعية للغرباء !

لقد تم تضليل عدد من الشباب الطيب ، وتمت خديعة عدد من الراسخين الطيبين باسم (الحداثة الأدبية) ، دون أن يدركوا البعد الفكرى أو العقدى الذى تقوم عليه (الحداثة) كما صوّرها الرائد / الواجهة – أعنى (أدونيس) ..ومن ثمّ ، كان الصراع الذى دخل فيه المخدوعون والمضلَّلون مع رافضى الحداثة وأبعادها المراوغة !

ما العمل ؟

والآن ، فإن الحداثة تزدهر مرّة أخرى فى الواقع الأدبى العربى ، وتستعيد المواقع التى فقدتها المواقع التى فقدتها فى السبعينات بانحسار الطغيان الثورى الذى كان يحميها ويساندها ويرعاها ، ترى : ما العمل ؟

إن الحوار مع أهل الحداثة غير مجد ؛ لأنهم لايؤمنون إلا بالحوار فيما بينهم ، ولا يعترفون بفقه الحرية ؛ لأنهم لا يسمحون لغيرهم بالبقاء على الساحة وبخاصة إذا كان هذا الغير ممن يفقهون الإسلام فقهاً ناضجاً وواعياً ، ويدركون طبيعة ما يجرى فى الميدان الثقافى وكنهه .إن أهل الحداثة فى كل الأحوال لا يؤمنون بغير (الاستبداد) ، و(الإزالة) بالرغم مع حديثهم عن (الديمقراطية) وإدخالها فى عناوين أدبياتهم ومسمّياتهم ..إنهم صوت (الماركسية) الطاغوتى ، بكل ما يعنيه هذا الصوت من بشاعة خلقية وفكرية ..إذاً : ما العمل ؟

لابد من التوعية والمتابعة ، التوعية بخطورة (الحداثة) منهجاً فكرياً ، والمتابعة لمسيرتها تطبيقاً بشعاً يرفض الحرية والدين والجمال .إن التوعية مع المتابعة طريق للحوار مع المضلّلين والمخدوعين ، حتى يثوبوا إلى هويتهم الحقيقية وانتمائهم الصادق .وفى كل الأحوال فإن الحداثة فى بلادنا العربية ستسقط فى يوم ما لأنها ضد (الحرية) بمفهومها العظيم ..ولأن الإسلام هو أول من منح الإنسانية ذلك المفهوم العظيم للحرية ، فسوف ينتصر الإسلام ، لأنه أمل الأمة العربية ، والإنسانية أيضاً .

كتب للمؤَلّف

إسلاميات :

١. مسلمون ..لا نخجل .

٢. حراس العقيدة .

٣. الحرب الصليبية العاشرة .

٤. العودة إلى الينابيع .

٥. الصلح الأسود – مبادرة السادات والطريق إلى القدس .

٦. ثورة المساجد- حجارة من سجيل .

٧. هتلر الشرق وبلطجى العراق .

٨. جاهلية صدام وزلزال الخليج .

٩. أهل الفن وتجارة الغرائز.

١٠. النظام العسكرى فى الجزائر.

١١. واسلمى يا مصر.

١٢. حفنة سطور.

١٣. التنوير..رؤية إسلامية .

١٤. دفاعاً عن الإسلام والحرية .

١٥. الحداثة العربية : المفهوم والمصطلح .

١٦. دفتر أحوال المسلمين .

١٧. ثقافة التبعية .

أدبيات :

١. الغروب المستحيل .

٢. رائحة الحبيب (مجموعة قصصية).

٣. الحب يأتى مصادفة (رواية عن حرب رمضان).

٤. مدرسة البيان فى النثر الحديث .

٥. محمد صلى الله عليه وسلّم فى الشعر العربى الحديث .

٦. موسم البحث عن هوية .

٧. القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث .

٨. الرواية التاريخية فى أدبنا الحديث .

٩. الورد والهالوك : شعراء السبعينات فى مصر.

١٠. لويس عوض : الأسطورة والحقيقة .

١١. الواقعية الإسلامية فى روايات نجيب الكيلانى .

١٢. الرواية الإسلامية المعاصرة .

إعلام :

١- الصحافة المهاجرة – رؤية إسلامية .

فهرس الكتاب